مجلة كليّة

الدعوة الإسلامية

مجلّة إسلاميّة - ثقافيّة - جامعة - محكمة

العدد التاسع

1992 م.

التعامل النحوي الدلالي في التراكيب العربية

الدكتور أحمد شيخ عبد السلام
المركز الإسلامي الإفريقي - الخرطوم
السودان

أولاً: تقديم:

إن التراكيب اللغوية (اللفظية) في تعامل دائم مع العناصر الدلالية سواء أكان في تعبيرها عن مدلولات معينة - بطريقة مباشرة أو غير مباشرة - أم في تأثرها بالعناصر الدلالية غير اللغوية في الموقف الخطابي.

واهتم اللغويون العرب بالدلالة المباشرة للتراكيب العربية، ويتضح هذا في تحديدهم لخصائص الأنواع النحوية وفروعها[1]. واهتم البيانيون العرب بالدلالة

(1) عرّف ابن مالك في ألفية النعت فقال:

فالنعت تابع متم ما سبق ... بوسمه أو وسم ما به اعتلق

وبالتمييز فقال:

اسم بمعنى «من» مبين نكره ... ينصب تمييزاً بما قد فسره

(ألفية ابن مالك - دار التعاون - مكة المكرمة ص 44، 34).

غير المباشرة لهذه التراكيب. وفي الغرب أدخل تشومسكي وأتباع المدرسة التوليدية التحويلية الجانب الدلالي وجعلوه مرحلة أخيرة للتحليل اللغوي، حيث تحدد دلالة الكلمة طبقاً لسياق التركيب[2].

ألمح العلماء إلى تأثر التراكيب العربية بالعناصر الدلالية غير اللفظية في حديثهم عن القرائن المعنوية وموافقة التراكيب لمقتضى الحال والتضمين وتناوب الأدوات والصيغ، وأثر الدلالة السياقية في تحديد الوظائف والمعاملة النحوية. وأثر التجانس الدلالي في السلوك النحوي، بيد أنهم لم يفردوها بأبواب خاصة لأنهم درسوا اللغة المكتوبة التي ينقصها تسجيل العناصر الدلالية غير اللفظية المصاحبة لعملية التخاطب، إذ إن استخدام ما يسمى بعلامات الترقيم لا يعين دائماً المراد في التعرف على مثل ما يرافق التراكيب النحوية من قسمات الوجه والإشارة والابتسام ورفع الصوت والانفعال وظروف أخرى لكلٍ من المرسل والمستقبل في هذه العملية. فعبارة (وذو الشيب يلعب) من قول الكُمَيْت:

طربت وما شوقاً إلى البيض أطرب ولا لعباً منّي، وذو الشيب يلعب

تحتمل التقرير والاستفهام الإنكاري ولا يعين على فهم أحدهما إلا العنصر الدلالي غير اللفظي المصاحب لكلام الشاعر والذي لم ينقل لنا، كما أن القرينة اللفظية (كالعلامة الإعرابية) قد لا تحدد المعنى السياقي للجملة العربية، إذ إن اللغة تبيح الخروج عن حدود القواعد في ظروف معينة فيما يسمى بالضرورة في الشعر أو الشذوذ في النثر، فيستعان على معرفة مغزى الحديث بالعناصر الدلالية غير اللفظية أو القرائن الحالية. هذا بخلاف اللغة المنطوقة التي تمتاز ـ إضافة إلى هذه العناصر اللفظية ـ بالتغذية الراجعة من المخاطب والموقف الخطابي[3].

يرى الباحث أن هناك صلة وثيقة بين الموضوعات المذكورة وغيرها،

---

(2) ميشال زكريا، الألسنية: المبادىء والأعلام ـ ط 2 ـ المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ـ بيروت ـ 1983 م ـ ص 211.

(3) Alan Davies & H.G. Widdowson, **Reading and Writing,** The Edingburgh Course in Applied Linguistics, Vol.3, Techniques in Applied Linguistics, Oxford University Press, U.K., 1978. p.164.

ويحاول دراستها تحت عنوان «التعامل النحوي الدلالي في التراكيب العربية» ويقصد «بالتعامل النحوي الدلالي» تفاعل العناصر اللفظية في التراكيب العربية مع العناصر الدلالية العرفية والسياقية وتكاملهما وتجانسهما في تحقيق التواصل وأداء الغرض من عملية التخاطب، وينجلي هذا التعامل في مظاهر متعددة تشترك جميعاً في إبراز مدى التداخل بين العناصر النحوية والدلالية والتكامل بينهما. والعناصر النحوية هي الأجزاء الصوتية الوظيفية واللفظية للتراكيب كعلامات الإعراب وحروف المعاني. والعناصر الدلالية هي الأجزاء الدلالية العرفية المكوّنة لمعاني الألفاظ، وعناصر الدلالة السياقية للكلام المؤلفة للموقف الخطابي. والظرف الكلامي أو الموقف الخطابي هو مناسبة الخطاب ومقام الكلام.

والهدف من هذا البحث: إثبات العلاقة الوطيدة بين الجانبين اللفظي والدلالي للتراكيب العربية، فالعلاقة بينهما كالعلاقة بين الوعاء ومحتواه أو الشكل ومضمونه، ومن أهدافه أيضاً إبراز التداخل بين العناصر النحوية والدلالية بوجه خاص في عدة مظاهر كالتلازم والتضمين وصياغة الأمثال وتناوب الصيغ، وبيان مدى استناد النحو العربي إلى الجانب الدلالي في التعريفات وسلوك الأنواع النحوية ومعاملتها والتعامل بين عناصر التركيب، مع توضيح أهمية هذه الظاهرة.

ثانياً: أهمية التعامل النحوي الدلالي:

تتمثل أهمية هذه الظاهرة في أمور منها ضرورة التوافق بين العنصرين النحوي والدلالي في التراكيب وفي العلاقة الوثيقة بين الدلالة الوظيفية للتركيب وبين الدلالتين المعجمية والاجتماعية:

1 ـ التوافق النحوي الدلالي:

إن صحة التركيب النحوي المحض لا تكفي وحدها لتحقيق هدف التواصل (Communication) من هذا التركيب إذا لم يتفاعل العنصران النحوي والدلالي، أعني أن وظيفة الكلام الأساسية تتخلف إذا كان الموقف الخطابي (Speech

(Situation والنسبة الكلامية (Speech Relativeness) غير متضافرين مع التركيب اللفظي.

أثبت (عبد القاهر الجرجاني)[4] هذه الحقيقة في محاجته في أن إعجاز القرآن الكريم بنظمه، وكشف أن مدار النظم على معاني النحو، ورأى أن المزية لا تثبت للتركيب اللفظي إلا بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام ومواقع بعض العناصر اللفظية والدلالية من بعض، وأن المراد بالتعليق بين الألفاظ وضم بعضها إلى بعض هو تعليق معانيها بعضها ببعض.

والمعاني المقصودة هنا هي الدلالة العامة المتوافقة المستقاة من مجموع أجزاء التركيب الواحد، والناتجة عن استقامة العلاقة الأفقية بينها (Syntagmatic Relation).

2 ـ الدلالة الوظيفية والمعجمية والاجتماعية:

حري بنا توضيح مفاهيم هذه الدلالات قبل بيان الصلة بين الدلالة الوظيفية وبين الدلالتين المعجمية والاجتماعية العرفية[5].

فالدلالة الوظيفية هي ما يعبر عنه المبنى اللغوي (النحوي والصرفي والصوتي) وتتصف بالتعدد والاحتمال، ولا تتحدد إلا بالقرائن المقالية أو الحالية.

فقولك: (لا تغضب) قد يكون لمطلق النهي أو للدعاء أو لشيء آخر.

وقولك: (جاء الرجل) قد يكون جملة إسنادية مستقلة أو طرفاً للإسناد أو ضميمة لتركيب أكبر أو مكملاً.

والدلالة المعجمية هي المعاني الأساسية المحتملة للوحدة ـ المعجمية (الكلمة المفردة) وطبيعتها التعدد والاحتمال، ولا تتحدد إلا بالقرائن والعلاقات

---

(4) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز ـ تصحيح السيد رشيد رضا ـ ط 6 ـ مكتبة صبيح ـ القاهرة ـ 1960 م، ص 77، 194 ـ 195.

(5) تمام حسّان، اللغة العربية معناها ومبناها ـ ط 2 ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ 1979 م. ص 163، 316.

السياقية (Contextual Relation) بين مكوّنات التركيب، وهي مستقلة عن الدلالة الوظيفية مبنية على علاقات ذهنية عرفية اعتباطية بين الرمز والمرموز إليه[6]. ولا التفات إلى ما ذكر قديماً من مناسبة طبيعية بين الألفاظ والمدلولات[7].

والدلالة الاجتماعية العرفية مستنبطة من بين أطراف الموقف الخطابي وأحداثه والظروف الاجتماعية المصاحبة، أساليب الكلام.

ولا يستبعد تأثير العنصر الصوتي أو الصرفي أو النحوي في تأكيد دلالة معينة أو إثارة انفعال خاص تجاه التركيب أو خلق نمط معين من الدلالة. ففي إدغام الثاء في الثاء المنقلبة عن التاء في (اثّاقل) من قوله تعالى: ﴿**ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثّاقلتم إلى الأرض**﴾[8] تأكيد لمعنى التباطؤ والتثاقل. وفي اختيار المشركين صيغة «فعّال» في قوله تعالى: ﴿**بل هو كذّاب أشر**﴾[9] دلالة اجتماعية وصرفية إضافة إلى الدلالة المعجمية، بل إنها تعبر عن عمق الموقف السلبي وبعد المعارضة لدعوة الرسول ﷺ. وفي تقديم لفظ (زيد) في قولنا: «خاصم زيد عمراً» إيحاء بأن زيداً هو المبادر بالخصام.

الدلالتان الوظيفية والمعجمية تمثلان المقال (Speech Event)[10] في حين أن الدلالة الاجتماعية العرفية تمثل المقام (Context of Situation) وقد عبّر البلاغيون عن العلاقة بينهما في مقولات منها: «لكل مقام مقال» و «لكل كلمة مع صاحبتها مقام» و «مطابقة الكلام لمقتضى الحال»[11]. ففي قول الحطيئة للزبرقان بن بدر:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

---

(6) ابن جني، الخصائص ـ تحقيق محمد النجار ـ ط 2 ـ دار الهدى ـ بيروت ـ (ط 1: 1913 م). 1/40.

(7) المصدر السابق 1/46 ـ 47.

صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة ـ ط 7 ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ 1978 م. ص 33 ـ 34.

(8) سورة التوبة، آية: 38.

(9) سورة القمر، آية: 25.

(10) اللغة العربية معناها ومبناها ـ ص 337 ـ 338.

(11) السكاكي، مفتاح العلوم ـ المكتبة العلمية الجديدة ـ بيروت. ص 80 ـ 81.

نجد أن المقال هو إسناد الإطعام والكسوة ولكن المقام مقام هجاء وسخرية، فأفاد المقال سخرية أيّما سخرية مما جعل الخليفة عمر بن الخطاب يهدد بقطع لسان الشاعر إن لم يكف عن التعرض لأعراض المسلمين.

والإمام عليّ بن أبي طالب ردّ على هتاف الخوارج (لا حكم إلّا الله) بقوله: «كلمة حق أريد بها باطل» ذلك لأن المقام محاولة إلزام الحجة سياسياً بهتاف ديني مع أن المقال يقرر مبدأ دينياً مسلماً به لدى الجميع، فلذلك انخدع به كثير من أنصار سيدنا علي رضي الله عنه.

ثالثاً: مظاهر التعامل النحوي الدلالي:

يعالج البحث ظاهرة التعامل النحوي الدلالي في التراكيب العربية في مظاهرها المتعددة التي درسها علماء اللغة العربية في أبواب متفرقة ومتباعدة فبدت وكأن أحد هذه المظاهر لا يمت إلى الآخر بصلة، وما أسلفناه في مقدمة هذا البحث يوضح العلاقة بينها واندراجها كلها تحت هذه الظاهرة وظهور تأثر العناصر النحوية فيها بالعناصر الدلالية في فهم التركيب النحوي العربي، لهذا تتبعها الكاتب فجمعها تحت مظلة التعامل النحوي الدلالي وبما أن طبيعة البحث لا تسمح بإيراد أمثلة كثيرة لكل مظهر يكتفى بأمثلة قليلة توضح المراد.

من هذه المظاهر فكرتا التلازم والتعامل والعلاقتان الأفقية والرأسية وأثر النمط التركيبي في تحديد دلالة التركيب ودلالة العلامات الإعرابية والعبارات الاصطلاحية وصياغة الأمثال والدلالة السياقية والتضمين.

1 ـ فكرة التلازم:

من مظاهر التعامل النحوي الدلالي ما عبّر عنه فيرث (Firth) بـ: (Collocation) وترجم بالتلازم أو المصاحبة، والذي يعني أن دلالة الكلمة تحدد بمعرفة الكلمات التي تتوارد معها أو بمعرفة علاقتها بأفراد مجموعتها، ولا يتأتّى هذا إلا باعتبار السياق اللفظي والمفهوم الخارجي لتواتر الكلمات، ولا يتحتم معه علاقة نحوية خاصة. فإذا كانت بعض الوحدات المعجمية تتوارد مع أخرى

مثل (الموت والحياة)، و(الشمس والقمر)، و(الدنيا والآخرة)، و(النور والظلام)، فإن هناك ألفاظاً تتواتر وتتآلف على المستوى النحوي، فلفظ «وسيم» يرد صفة للرجل دون المرأة ولفظ «جميل» للمرأة دون الرجل، وتقول: «فتى عازب» وفتاة عانس وتقول في تأكيد الألوان: «أسود حلكوك أو غربيب، وأصفر فاقع، وأبيض ناصع» دون التبادل بين هذه المؤكدات، ويقال: قرآن كريم ولا يقال حديث كريم بل يقال حديث شريف. ويستعمل الفعل (نفق) للحيوان دون الإنسان. ويقال: «أركب الخيل» ولا يقال «أركب الكلب» ولا «أركب البقرة» لتحقق التلازم بين الفعل والمفعول في التركيب الأول دون الثاني والثالث، لأنّ المفهوم الخارجي والعادة اللغوية العربية لم يجريا على التلازم بين «أركب» وكل من «الكلب» و«البقرة» وإن كان التلازم متحققاً في «أركب البقرة» في بعض العادات اللغوية وبخاصة لدى رعاة البقر، ويضاف إلى عدم ورود قولك: «أركب الكلب» أن مزاولة الركوب في الخارج غير مرتبطة بالكلب.

فالتركيب قد يكون صحيحاً نحوياً محضاً ولكنه يعدّ خطأ وغير مقبول إذا كان خارجاً عن العرف اللغوي الخاص الذي يتحكم في توارد المفردات وتلازمها[12].

وتتمثل الصعوبة في فكرة التلازم والمصاحبة في أن الناطقين باللغة بمن فيهم المتحدث الأصلي لا يدرون أو لا يقفون على أبعادها بين ألفاظ لغتهم[13]، فقد يخرج أديب عن حدود التلازم فيعدّ له إضافة رائعة ويخرج عنها آخر فيرفض ويمجّ.

2 ـ فكرة التعامل:

من التعامل النحوي الدلالي ما عبّر عنه أيضاً بـ: (Correlation)[14] أي

---

(12) عبد الرحمن أيوب، التحليل الدلالي للجملة العربية ـ المجلة العربية للعلوم الإنسانية ـ جامعة الكويت ـ العدد 10 ـ مجلد 3 ـ 1983 م. ص 119، 133.

(13) Paul Van Buren, **Semantics and Language Teaching,** The Edingburgh Course in Applied Linguistics, Vol.2, Papers in Applied Linguistics, Oxford Univ. Press, 1980. p.127 - 128.

(14) التحليل الدلالي للجملة العربية ص 133 ـ 134.

التعامل أو الترابط، ويعني العلاقة النحوية المتبادلة بين مكونات التركيب، ويكون تأثيرها من جانبين، ولها تأثير في تحديد الدلالة المعجمية والوظيفية التركيبية للنوع النحوي، ففي قولك: «كَتَب الولد الدرس»، كان ورود الفعل (كَتَبَ) بصيغة البناء للفاعل سبباً لوجود الفاعل (الولدُ) في التركيب، وعلة لنصب المفعول (الدرسَ). ومن جانب آخر نرى أن نصب اللفظ (الدرسَ) على المفعولية سبب لورود الفعل مبنياً للفاعل، كما أن ورود الفاعل في التركيب علة لهذه الصيغة.

وتعين فكرة التلازم في تحديد الدلالة المعجمية إذا تداخلت مع فكرة التلازم، فالفعل (قاتل) في قولنا: (قاتل الله فلاناً) يعني «لعن»، أما في قولنا: (قاتل زيد عمراً) بمعنى خاصم.

فتوارد لفظ (قاتل) مع لفظ (الله) يجعله مرادفاً لـ(لعن) وتوارده مع لفظ (محمداً) أو (عمراً) يلزمه الدلالة المعجمية الأصلية المقاتلة والمخاصمة. والفعل (ضرب) يتحدد معناه حسبما تتطلبه دلالة المفعول: (ضرب زيد عمراً)، (ضرب الأمير الجزية) و(ضربت الدولة على يد المجرمين)، أي (عاقب وفرض وكفت) على التوالي.

3 ـ العلاقات التركيبية بين الأنواع النحوية[15]:

هناك نوعان من العلاقة بين العناصر اللغوية:

(أ) **العلاقة الأفقية**: (Syntagmatic Relation) وهي علاقة تأليف وترابط بين مكونات التركيب. وتقوم على التجاور والتوارد بينهما وهي بهذا علاقة حضورية مستندة إلى صلات من التآلف أو التنافر ضمن عملية التأثر والتأثير بين الوحدات المكونة للتركيب، وفي ضوء الدلالة المعجمية والاجتماعية العربية.

---

(15) J.P.B. Allen, **Some Basic Concepts in Linguistics,** The Edinburgh Course in Applied Linguistics, Vol.2, p.22.

ـ عبد الله الغذامي، الخطيئة والتفكير من البنيوية إلى التشريحية ط 1 ـ كتاب النادي الأدبي الثقافي (27) ـ جدة ـ المملكة العربية السعودية ـ 1405 هـ، ص 23، 36.

ـ كمال بدري، الخواص التركيبية للغة العربية ـ مذكرة 1984 م، ص 34، 35.

وفي قولنا: «حضر محمد» نجد أن الفعل (حضر) مجاور للفاعل (محمد) وبينهما تآلف، وقد أثر الفعل في اختيار الرفع حالة إعرابية لـ (محمد) كما أن الرفع أثر في ورود الفعل على صيغة المبني للفاعل، ونجد بين (حضر) وبين الفعل (غاب) تنافراً ولا يمكن التأليف بينهما في تركيب (حضر غاب)، أو أن تقول مثلاً (دخل جلس)، فبين الأول تنافر تركيبي ودلالي، وبين الثاني تنافر تركيبي فقط، فتعذر تجاورهما في تركيب واحد.

أما نحو: (إن تقم أقم) فإن بين الفعلين علاقة تضامنية[16] (شرط وجواب) إضافة إلى علاقة تأليفية تركيبية. والفعلان في قوله تعالى: ﴿**قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم**﴾[17] في جملتين مستقلتين: أي (أقبلوا، إن تقبلوا أتل عليكم).

(ب) **العلاقة الرأسية**: (Paradigmatic Relation) وهي علاقة اختيار على محور عمودي في ضوء قاعدة الاستبدال في شغل الوظائف النحوية، معتمدة على علاقة الكلمة بكلمات أخرى خارج السياق، مستندة إلى سلوكها النحوي أو صيغها وبناها ودلالتها العامة، وهي علاقة جدولية.

فموقع الفعل في قولنا: (جاء الرجل) يمكن أن يشغله أي ـ نوع نحوي دال على الحدث والزمن «الماضي أو الحاضر أو المستقبل (حضر ـ يقوم ـ ينام) أو على الحدث والزمن وذات غير معينة (قائم ـ مضروب) أقائم الرجل؟ ما مضروب زيد[18]. وموقع الفاعل من ذاك التركيب يمكن أن يشغله النوع النحوي الأسمى الدال على ذات معينة أو غير معينة: (محمد ـ الكاتب ـ هو ـ هذا ـ مفتاح ـ رجيل).

قد ينتج عن عملية الاستبدال بين الكلمات في العلاقة الرأسية تغيير وظائف الكلمات الأخرى غير المستبدلة والتي تربطها بالموقع علاقة أفقية في التركيب، أو

---

(16) الخطيئة والتفكير ص 39.

(17) سورة الأنعام، آية: 151.

(18) سمى الكوفيون «اسم الفاعل» بالفعل الدائم (عوض القوزي المصطلح النحوي ـ جامعة الرياض ـ 1401 هـ، ص 185).

تغيير في دلالاتها المعجمية أو الاجتماعية العرفية[19]. فالاستبدال في موقع المفعول يؤدي إلى تغيير في دلالة الفعل (قضى) في الآيات والتراكيب التالية[20]:

﴿فيمسك الذي قضى عليها الموت﴾ أي حتم.

﴿وقضى ربك ألاّ تعبدوا إلاّ إيّاه﴾ أي أمر.

﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾ أي أعلمناهم.

﴿فقضاهن سبع سموات﴾ أي صنعهن.

ويقال: «قضى فلان بين متخاصمين» أي حكم.

«وقضي قضاؤك» أي فرغ من أمرك.

وقد تختلف دلالة الفعل إذا وقع استبدال في موقع متعلقه (الجارّ).

- رغب الرجل في العمل: أقبل عليه.
- رغب الرجل عن العمل: أعرض عنه.

والاستبدال في موقع الفعل في التعبير التالي يؤدي إلى تغيير في وظيفة المسند إليه، فلفظ (الزجاج) فاعل في قولك: (انكسر الزجاجُ) ونائب عن الفاعل في قولك: (كُسِر الزجاجُ).

أشار (عبد القاهر الجرجاني)[21] إلى أهمية تحقيق العلاقة الأفقية بين مكوّنات التركيب، وعبّر عنها بـ: «تعلق معاني الألفاظ بعضها ببعض»، وأنه لا يتم إلا بحسن استغلال العلاقة الرأسية في تخير الموقع لهذه الألفاظ، بل جعلها أساساً لمبدأ النظم، قال: «واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك»[21].

---

(19) الخطيئة والتفكير ص 38.

(20) فتحي عامر، المعاني الثانية في الأسلوب القرآني - منشأة المعارف بالاسكندرية - مصر - 1976 م، ص 30 - 31.

(*) (يمكن تسمية هذا المظهر بالتعبير السياقي (Contextual Expression). (أحمد أبو سعد - معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية العربية - ط 1 - دار العلم للملايين بيروت - 1987 م، ص 11).

(21) دلائل الإعجاز ص 51، 232.

4 ـ أثر النمط التركيبي في تحديد الدلالة:

إن المبنى اللغوي ـ ومنه النحوي ـ متعدد المعنى محتمل لما ينسب إليه من خارج السياق. والدلالة الوظيفية الناتجة عن تعلّق الألفاظ بعضها ببعض لا تستقل عن الدلالتين المعجمية والاجتماعية العرفية، وإلّا نتج عن المبنى اللغوي (التركيب) نسق نطقي هرائي عاجز عن تحقيق هدف التواصل ـ كما سبق آنفاً.

بيد أنّا نلحظ لنمط التركيب وموقع الكلمة المعنية منه أثراً واضحاً في تحديد دلالة المبنى اللغوي وبلاغتها وفصاحتها، إذ إن نظم الكلام يعني اعتبار حال المنظوم بعضه من بعض، وبه تتجانس دلالته وتتناسق ويفي بالغرض من التركيب على الوجه الأكمل.

لقد وعى (عبد القاهر الجرجاني) هذه الفكرة ورأى أنّها تتمثل في القرآن الكريم وبه كان معجزاً[21].

ورأى ابن الأثير[22] أن تفاوت التفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها، وأنه يشهد لذلك ويؤيده أنّك ترى اللفظة تروقك في كلام، ثم تراها في كلام آخر فتكرهها، ووضّح هذا الرأي بمثال حسي، قال: «وحكم ذلك حكم الموضع الذي يوضع فيه العقد المنظوم، فتارة يجعل إكليلاً على الرأس، وتارة يجعل قلادة في العنق وتارة يجعل شَنْفاً في الأذن، ولكل موضع من هذه المواضع هيئة من الحسن تخصه»[22].

ومن رأيه أن لفظة (تؤذي) وقعت في آية قرآنية فكانت متعلقة بما بعدها واندرج التركيب مع ما بعده فكانت دلالته عميقة قال تعالى: ﴿**فإذا طعمتم فانتشروا، ولا مستأنسين لحديث، إن ذلكم كان يؤذي النبيّ فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق**﴾[23]. ووقعت في تركيب منقطع عمّا بعده ولم يكن للفظة متعلق، فكانت دلالته ضعيفة، وذلك في قول أبي الطيب المتنبي:

---

(22) ابن الأثير، المثل السائر ـ تحقيق بدوي طبانة ـ ط 1 ـ مكتبة نهضة مصر ـ القاهرة ـ 1959 م، ص 214، 210.

(23) سورة الأحزاب، آية: 53.

تـلذّ لــه المــروءة وهـي تـؤذي ومـن يعـشـق يـلذ لــه الـغــرام

يبرز أثر النمط التركيبي في تحديد الدلالة في قولنا: (رحمه ـ الله) ـ فعل ماض + مفعول + فاعل ـ في الترحم للميت، فإن أتى بجملة اسمية فلا بدّ من كون الفعل على صيغة المضارع (الله يرحمه) ـ مبتدأ + خبر (فعل + مفعول) ـ وأما إذا أتى بجملة فعلية فعلها مضارع فيكون التركيب موجّهاً للحيّ (العاطس) (يرحمك الله)...

والفكرة واضحة جداً في حديث نبوي شريف[24] مما رواه أبو داود والترمذي عن أبي جريّ الهجيمي رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ فقلت: عليك السلام يا رسول الله. فقال: «لا تقل عليك السلام» «فإن (عليك السلام) تحية الموتى». وكتب السنة نصت على كيفية السلام، وأن المبتدىء يقول: «السلام عليكم...» ـ مبتدأ + خبر ـ والمجيب يقول: «وعليكم السلام...» ـ خبر مقدم + مبتدأ ـ ويأتي بواو العطف في ابتداء الجواب[25].

5 ـ دلالة العلامات الإعرابية:

يشمل مصطلح «الإعراب» أربعة مصطلحات: العلامة الإعرابية والحالة الإعرابية والموقع الإعرابي وتحليل الجملة، ويغلب استعماله في العلامة الإعرابية.

فهو (أي الإعراب) «الإبانة عن المعاني بالألفاظ» فإذا قلت: أكرم سعيد أباه، وشكر سعيداً أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعلَ من المفعول، وهكذا يختلف الإعراب باختلاف المعاني التي تبين عنها[26]. وهو أيضاً «الفاروق بين المعاني المتكافئة في اللفظ»، وبه تميز المعاني، ويوقف على أغراض المتكلمين، فلو قال قائل: «ما أحسن زيد» من غير إعراب لم يوقف على مراده،

(24) النووي، رياض الصالحين، دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة، ص 359، 357.

(25) الخصائص 35/1.

(26) أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة ـ تحقيق مصطفى الشويمي ـ مؤسسة بدران ـ بيروت ـ 1963 م، ص 77 وغيرها.

فإذا قال: «ما أحسنَ زيداً!» فهم منه التعجب، أو «ما أحسنُ زيدٍ؟» فهم منه الاستفهام، أو «ما أحسنَ زيدٌ» فهم منه النفي، فأبان بالإعراب عن المعنى الذي قصده[27].

يؤخذ من هذا أن للإعراب أثراً في تحديد الدلالة الوظيفية وذلك في التفريق بين المعاني المختلفة، فهو يفصل بين الفاعلية والمفعولية والإضافة، وغيرها. أورد الأنباري ضمن آراء البصريين أن «الإعراب إنّما دخل الكلام في الأصل لمعنى، وهو الفصل وإزالة اللبس، والفرق بين المعاني المختلفة بعضها عن بعض من الفاعلية والمفعولية إلي غير ذلك»[28]. وقال الزجاجي: «إن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني، فتكون فاعلة ومفعولة ومضافة إليها ولم تكن في صورها وأبنيتها أدلة على هذه المعاني بل كانت مشتركة جعلت حركات الإعراب فيها تنبىء عن هذه المعاني، فقالوا: ضرب زيد عمراً، فدلوا برفع (زيد) على أن الفعل له، وبنصب (عمرو) على أن الفعل واقع به»[29].

ربط بعض العلماء بين العلامات الإعرابية وبين المعاني الوظيفية الأساسية[30]، فذكروا أن الضمة أو ما ينوب عنها رمز الإسناد (العمدة) أي إنها علامة على الفاعلية والابتداء والخبر، وأن الفتحة أو ما ينوب عنها رمز لانتقال أثر الحدث أو علامة على (الفضلة) على الأغلب، وأن الكسرة أو ما ينوب عنها علامة على إضافة معنى الفعل أو شبهه إلى ما يليه[31].

وقد رفض قطرب ومن رأى رأيه الأثر الوظيفي للعلامات الإعرابية بل جعلوها

---

(27) عبد الوهاب ملا، الإعراب ونظرية العامل والمعمول، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، عدد 4 ـ طرابلس ـ ليبيا، 1987 م، ص 316.

(28) أبو البركات الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف ـ تحقيق محمد عبد الحميد ـ دار الفكر ـ بيروت 20/1.

(29) أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحاة ـ تحقيق مازن المبارك ـ ط 4 ـ دار النفائس ـ بيروت ـ 1982 م، ص 69.

(30) الإعراب ونظرية العامل والمعمول ص 316 ـ 317.

(31) الإيضاح في علل النحاة ص 69 ـ 70.

رموزاً صوتية محضة[32]. ولعل الصحيح أن يقال إن العلامة الإعرابية قرينة من قرائن لفظية أخرى كثيرة يتوقف عليها معرفة وظائف مكوّنات التركيب[33].

من أوجه صلة هذه المسألة بالتعامل النحوي الدلالي قولهم (الإعراب دليل على المعنى، والمعنى مرشد إلى الإعراب)، ـ والمقصود بالمعنى هنا هو المعنى الوظيفي للتركيب أو لأجزائه فالعلامة الإعرابية أو الحالة الإعرابية دليل المستمع إلى فهم المعنى الوظيفي، كما أن ما يختاره المتكلم من المعاني الوظيفية لمكوّنات التركيب مرشد لما ينبغي أن يضعه من علامات إعرابية. وقد وضّح أحد المعاصرين هذا الكلام بقوله: «المعنى يسبق الإعراب عند المتكلم، والإعراب يسبق المعنى عند السامع، وقد يرافقه»[34].

ولا يمكن حمل المعنى هنا على الدلالة المعجمية، إذ لو كانت هي المقصودة ما استعصى تفسير بيتي المجنون بن جندب على كبار علماء اللغة حتى قال فيهما أبو زيد الأنصاري: «إنه كلام مجنون ولا يعرف كلام المجانين إلا مجنون»[35] والبيتان هما:

محكوكة العينين معطاء القفا كأنما قدت على متن الصفا
تمسي على متن شراك أعجفا كأنما ينشر فيه مصحفا

6 ـ دلالة العبارات الاصطلاحية والأمثال: (Idioms & Proverbs)

للنمط التركيبي دور في تحديد دلالة التركيب في العبارة الاصطلاحية والمثل.

التعبير أو التركيب الاصطلاحي مجموعة من المفردات المترابطة على نمط تعبيري معيّن بدرجة تجعل منها وحدة متماسكة لا يبدل أحد مكوّناته بآخر مثله على

---

(32) المصدر السابق ص 70، الإعراب ونظرية العامل والمعمول ص 318 ـ 319.
(33) اللغة العربية معناها ومبناها ص 185.
(34) الإعراب ونظرية العامل والمعمول ص 315.
(35) اللغة العربية معناها ومبناها ص 184.

الغالب لما بينها من التجانس والتلازم حتى إنها تعامل دلالياً وحدة دلالية مفردة، ويجوز تغيير صيغ مكوّناته ليتوافق مع شخص المقصود من الكلام وعدده.

دلالة هذا التعبير دلالة اجتماعية عرفية مستقاة من السياق وإن كانت مكوناته تبقى على خصائصها النحوية[36].

قد يكون التعبير الاصطلاحي جملة مثل: (يصطاد في الماء العكر) و(يضع العربة أمام الحصان) وقد يكون عبارة إما إضافية مثل: (أبو العجب) و(قصب السبق)، أو وصفية مثل (الحرب العوان) و(حرف لا يقرأ)، أو عطفية مثل (قيل وقال)، أو غيرها مثل: (على بكرة أبيهم)، وقد يكون كلمة مفردة مثل: (أذن) و(آية) و(شيطان) وغيرها.

يتدخل التعبير الاصطلاحي مع التركيب السياقي في بعض صوره نحو: (ضرب على يده)، كما أنه يتداخل مع الأمثال، وذلك أنه إذا تكرر استعمال المثل وشاع أصبح تعبيراً اصطلاحياً، من هذا قولهم: (رجع بخفي حنين) و(سبق السيف العذل)[36]، كما أن التعبير الاصطلاحي قد يصبح مثلاً، وذلك قولهم: (لا ينتطح فيها عنزان).

والمثل تركيب يقال في ظرف كلامي خاص، فيصير قولاً سارياً يشيع استعماله في مواقع أخرى مماثلة لما يمتاز به هذا التركيب من تجانس مكوّناته وتماسكها، وغالباً ما يكون بفقرات قصيرة متوازية أو متوازنة وألفاظ متناسبة وفواصل متوافقة.

قالوا: (عُوَيْرٌ وَكُسَيْرٌ وكلٌّ غير خير) و(إذا وُقِيَ الرجل شرّ لقلقه وقبقبه وذبذبه فقد وقي) و(سكت ألفاً ونطق خلفا) و(من لاحاك فقد عاداك)[37].

لا تغير مكوّنات المثل ولا تبدل بغيرها، بل يبقى كما روي جيلاً بعد جيل،

---

(36) معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية ص 5، 10، 11، 12.

(37) أبو عبيد القاسم بن سلام، كتاب الأمثال ـ تحقيق عبد المجيد قطامش ـ ط 1 ـ دار المأمون للتراث ـ دمشق ـ 1980 م، ص 79، 55.

تقول: (الصيف ضيّعتِ اللبن) بكسر تاء المخاطبة سواء قيل للمذكر أو المؤنث، للمفرد أو المثنى أو الجمع، بخلاف التعبير الاصطلاحي فإنه يجوز تغيير صيغ أجزائه.

ودلالة المثل في غير الموقف الخطابي الأول دلالة اجتماعية عرفية مستنبطة من ظرف كلامي مشابه للموقف الذي قيل فيه سلفاً.

7 ـ ظواهر إعرابية خاصة:

هناك مسائل إعرابية انطلق فيها النحاة من منطلق دلالي غير متبادر إلى الذهن من ظاهر التركيب، فحاولوا حمل التركيب على وجه إعرابي متوافق مع دلالة اجتماعية عرفية يرتؤونها أو جار على مبدأ عقدي أو فقهي.

من هذا ما علم أن نفي النفي إثبات، غير أن الأداة النافية قد تقع قبل نافية أخرى مثلها ولا يعد التركيب موجباً. استناداً إلى الموقف الخطابي الذي يؤخذ منه دلالة معينة، كقول جميل بثينة:

لا لا أبـوح بـحبّ بـثيـنـة إنـهـا أخـذت عـليّ مـواثـقـا وعـهـودا

فعدّ النحاة (لا) الثانية توكيداً لفظياً للأولى، ولم يحتج للفصل بينهما لكون (لا) حرفاً جوابياً[38].

في البدل المباين يصلح قول قائل: (خذ نبلاً مدى) أن يكون بدل غلط إذا لم يكن (نبل) مقصوداً البتة بل سبق إليه اللسان، أو بدل نسيان إذا تبيّن فساد قصده بعد ذكره، أو بدل إضراب إن كان قصد كل واحد منهما صحيحاً[38]. والمتكلم هو الحكم في تحديد أي الأنواع الثلاثة قصد، ويمكن أنْ يقف السامع على مقصوده إذا استعان بعناصر الموقف الخطابي.

ذهب النحاة إلى قياسية حذف الجار بعد الفعل اللازم إذا كان المجرور

---

(38) ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك: (ضياء السالك إلى أوضح المسالك ـ وضع محمد النجار ـ ط 4 ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ـ 1973 م، 3/164 ـ 165، 3/227 ـ 228.

مصدّراً بأنْ أو أنّ أو كي، واشترط ابن مالك في الأولين أمن اللبس فمنع الحذف في نحو: رغبت في أن تعينني أو: عن أن تعينني، وقد أشكل على هذا قوله تعالى: ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾[39]، فاختلف المفسرون في المراد، فبعضهم قدّر (في) لأنه رأى أن المقصود: الرغبة فيهنّ لجمالهن ومالهن، والآخر قدّر (عن) على أن المقصود: الرغبة عنهن لدمامتهن وفقرهنّ[40].

وإذا قدّر (يستقر) متعلقاً للجار (في) من قوله تعالى: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلّا الله﴾[41]، يكون الاستثناء منقطعاً ويكون رفع (الله) على لغة تميم (لغة الاتباع)؛ إذ لا يصح أن يكون استثناء متصلاً، لأن ذاته تعالى لا يحويها مكان، ومن جعل الاستثناء متصلاً قدّر (يذكر).

8 ـ التضمين:

من مظاهر التعامل النحوي الدلالي التضمين[42]، وقصد به هنا: تأدية فعل أو ما في معناه مؤدى فعل آخر أو ما في معناه فيعطي حكمه في التعدي واللزوم، وذلك في تركيب معين[43]. وبعبارة أخرى هو إشراب لفظ معنى لفظ آخر لا يتأتى به في غير سياق تركيبي معين، فيعامل معاملته في سلوكه النحوي[44].

الفعل (يؤمنون) يتعدى بنفسه ولكنه عدّي بالباء لتضمنه معنى الاعتراف والإقرار أو الثقة في قوله تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾[45] و(يؤلون) في قوله

---

(39) سورة النساء، آية: 127.

(40) أوضح المسالك 97/2، 188/2.

(41) سورة النمل، آية: 65.

(42) يقصد هنا التضمين النحوي الناتج عن تركيب، وليس تضمين اسم معنى حرف (الشبه المعنوي)، ولا التضمين في باب الظرف والمكملات الأخرى. وقد ورد التضمين أيضاً في عيوب الشعر، وفي المحسنات البديعية وفي أوجه المجاز والكناية.

(43) أوضح المسالك 60/2.

(44) السيوطي، الأشباه والنظائر في النحو ـ تحقيق طه سعد ـ مكتبة الكليات الأزهرية ـ مصر ـ 1975 م، 100/1 ـ 101.

(45) الزمخشري ـ الكشاف ـ ط 1 ـ دار الفكر ـ بيروت ـ 1977 م، 126/1 ـ 127. (سورة البقرة، آية: 3).

تعالى: ﴿للذين يؤلون من نسائهم﴾ مضمن معنى (يمتنعون) فلهذا عدّي بـ (من)[46]. ولفظ الرفث من الآية ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم﴾ مضمن معنى الإفضاء فلذلك عدّي بإلى[47]. وعلى هذا قول الفرزدق:

كيف تراني قالباً مجنّى أضرب أمري ظهره للبطن
قد قتل الله زياداً عنّي

حيث ضمّن «قتل» معنى (صرف) فعداه بـ (عن)[47].

وضع مجمع اللغة العربية ثلاثة شروط للتضمين[48]:

1 ـ تحقق المناسبة بين اللفظين.
2 ـ وجود قرينة تدل على ملاحظة الآخر ويؤمن اللبس.
3 ـ ملاءمة التضمين للذوق العربي.

إن فكرة التضمين تؤكد ما ذهب إليه (تمام حسان)[49] في أن الدلالة المعجمية قابلة للتعدد والاحتمال، وإنما تتحدد في التركيب، وكذلك الدلالة الوظيفية (النحوية)، إذ إن التركيب بهذا التضمين يملي تعدية اللفظ أو لزومه ويعين ما يمكن أن يتعلق أو يتعدى به كما اتضح من تحليل الأمثلة السابقة، ولذا جعله العلماء وسيلة من وسائل التعدي واللزوم[50].

وحول إشراب اللفظ معنى لفظ آخر، ذهب البعض إلى أن التضمين يعطي مجموع معنيين[51] قصداً وتبعاً (الدلالة المعجمية للفعل المذكور ودلالة الفعل الذي أشرب معناه)، يدل على الأول بمادته وعلى الثاني بالقرائن المقالية أو

---

(46) ابن هشام مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ـ تحقيق مازن المبارك ومحمد حمد الله ـ ط 3 ـ دار الفكر ـ بيروت 1973 م، ص 898 ـ 899.
(47) الخصائص 308/2، 310/2.
(48) عباس حسن، النحو الوافي ـ ط 8 ـ دار المعارف ـ مصر ـ 1986. 594/2.
(49) اللغة العربية معناها ومبناها ص 613.
(50) النحو الوافي 171/2.
(51) الأشباه والنظائر في النحو 101/1، الكشاف 126/1.

الحالية. فلفظ (يَشْرب) في قوله تعالى ﴿عيناً يشرب بها المقربون﴾ مضمّن معنى (يروى) فدلّ على شيئين: الشرب بصريح اللفظ والريّ بتعديته بالباء. ولفظ (تعزموا) من الآية: ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح﴾ أفاد معنى العزم بمادته ومعنى النية بحذف الجار (على) الذي يتعدى به. بيد أن العلماء ذهبوا مذاهب في حقيقة مدلول اللفظ المضمّن معنى لفظ آخر[52].

بما أن التضمين يأتي نتيجة لتأليف لفظ مع آخر ترتب عليه مسألتان وظيفيتان وضّحهما السيوطي في (الأشباه والنظائر في النحو)[53]:

الأولى: كل ما تضمن ما ليس له في الأصل منع شيئاً مما له في الأصل. فالفعل (يخالف) يتعدى بنفسه ولكنه ضمّن معنى (يخرج) في قولـه تعالى: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره﴾ فمنع التعدّي بنفسه فعدّي بـ (عن).

الثانية: المتضمن معنى شيء لا يلزم أن يجري مجراه في كل شيء. فالأفعال (أخبر ـ خبّر ـ حدّث ـ نبّأ ـ أنبأ) تتعدى إلى ثلاثة مفاعيل إذا ضمنت معنى (أعلم)[54]. ولكن التضمين لا يجعلها تجري مجرى (أعلم) في كل شيء فالثلاثي من الأخير يتعدى إلى المفعولين بنفسه: علمت الغني كريماً، وتتعدّى هذه الأفعال إلى واحد بنفسها وإلى آخر بحرف جر، نحو قوله تعـالى: ﴿نبّئوني بعلمٍ﴾ و﴿أنبِئْهم بأسمائهم﴾.

التضمين لا يستلزم تجانساً دلالياً معجمياً بين المضمّن والمتضمن بل إن تحديد اللفظ الذي يشرب مدلول لفظ آخر واختياره مستندان إلى السياق التركيبي والظرف الكلامي، فقد يكون مرادفاً وقد يكون غير ذلك. فالفعل (ألوت) مرادف لـ (قصرت) وهو لازم، وإذا قلت: (لا آلوك نصحاً) عدّيته إلى مفعولين بنفسه لأنك ضمنته معنى (لا أمنعك) الذي ينصب مفعولين[54] فساعد المعنى الوظيفي على اختيار اللفظ الذي أشرب مدلوله لفظ (آلوك).

---

(52) ياسين الحمصي، حاشيته على شرح التصريح على التوضيح ـ دار الفكر ـ بيروت 4/2 ـ 7.
(53) الأشباه والنظائر في النحو 104/1 ـ 105.
(54) النحو الوافي 171/1.

هذا، ولا بدّ أن تتضافر المناسبة بين اللفظ المقدّر وبين متعلق اللفظ المذكور ـ إذا كان له متعلق في التركيب ـ مع قرائن السياق التركيبي والظرف الكلامي.

9 ـ تناوب الأدوات:

مظهر آخر موازٍ للتضمين، هو التناوب بين الأدوات، وقد صنفت الكوفية بعض الأمثلة السابقة تحت هذا الموضوع، أما البصريون فإنهم يمنعون أن تنوب أداة وظيفية عن أداة أخرى، ويؤولون ما أوهم ذلك على التضمين أو تقدير المحذوف حسبما يقبله اللفظ(55).

ويبدو أن ابن جني لا يرى فرقاً بين المصطلحين فقد صنع باباً في استعمال الحروف بعضها مكان بعض، ودار حديثه حول تضمين لفظ معنى لفظ آخر، رغم أنه نصّ في بعض الأمثلة على نيابة حرف عن آخر(56). من هذا تعليقه على قول القحيف العقيلي:

إذا رضيت عليّ بنو قُشير لعمرو الله أعجبني رضاها

قال: «أراد: عنّي، ووجهه أنها إذا رضيت عنه أحبّته وأقبلت عليه، فلذلك استعمل (على) بمعنى (عن)»(56).

التناوب بين الأدوات يؤكد ما قررناه سلفاً من أن الدلالة المعجمية متعددة غير محددة، وأنها تتحددّ في التركيب، وهذا ملحوظ واضح فيما عدده النحاة من معاني حروف الجرّ المتعددة المتداخلة(57).

العلاقة بين التضمين وتناوب الأدوات علاقة عموم وخصوص، ذلك لأن التضمين يتمّ سواء تعلّق اللفظ بأداة أم لم يتعلق بها، والتناوب يقع عند تعدّي اللفظ بأداة لم يكن يتعدّى بها. ففي قوله تعالى: ﴿أحلّ لكم ليلة الصيام الرفث

(55) شرح التصريح على التوضيح 4/2.
(56) الخصائص 306/2 ـ 308، 311/2.
(57) أوضح المسالك 277/2 ـ 300.

إلى نسائكم﴾ يجوز القول بنيابة (إلى) أو تضمينها معنى (الباء) أو (مع)، أو القول بتضمين الرفث معنى الإفضاء. ولا يتأتى التناوب في نحو قوله **﴿لا يسمعون إلى الملأ الأعلى﴾**، أي لا يصغون، وقوله **﴿والله يعلم المفسد من المصلح﴾** أي يميز، كما أن الأحرى القول بالتناوب في قوله تعالى: **﴿ولأصلبنّكم في جذوع النخل﴾** أي عليها بدلاً من تكلف التقدير والتأويل.

10 ـ تناوب الصيغ[58]:

يقع التناوب أيضاً بين الصيغ الفعلية في أزمنتها وما يلصق بها من علامات تدل على الشخص والعدد كما يقع بين الصيغ الاسمية، ويوقف على المقصود بالسياق وعلاقة اللفظ بمكوّنات أخرى في التركيب مع وجود قرينة مقالية أو حالية تزيل اللبس.

قد يقع المضارع موقع الماضي. قال تعالى: **﴿فلم تقتلون أنبياء الله من قبل...﴾** أي لم قتلتم، وقد يعبر عن الماضي بلفظ المضارع، قال الحطيئة:

شهد الخليفة يوم يلقى ربه أن الوليد أحق بالعذر

فأتى بـ (شهد) في موقع (يشهد). قال ابن هشام «إنهم يعبرون عن الماضي والآتي كما يعبرون عن الشيء الحاضر قصداً لإحضاره في الذهن حتى كأنه مشاهد حال الإخبار»[59].

قد ينوب المفرد عن المثنى نحو: **﴿فرجعناك إلى أمّك كي تقرّ عينها ولا تحزن﴾** أي عينيها. وبالمثنى عن المفرد نحو **﴿نسيا حوتهما﴾** أي نسي، لأن النسيان كان من الفتى وحده. كما يعبر عن المفرد بالجمع قال: **﴿رب ارجعون﴾** أي أرجعني والعكس نحو: «هؤلاء ضيفي» أي ضيوفي. وقد يعبر بالمثنى عن

---

(58) بشير زقلام، تناوب الصيغ في التعبير العربي ـ مجلة كلية الدعوة الإسلامية ـ عدد 4 ـ طرابلس ـ ليبيا ـ 1987 م، ص 325 ـ 335.

(59) مغني اللبيب ص 906.

الجمع والعكس[60]. منه قول مالك بن الريب يرثي نفسه:

خـذاني فجـرّاني بثـوبي إليكمـا فقـد كنت قبل اليـوم صعباً قياديا
يقـولـون «لا تَبْعَـد» وهم يـدفنـونني وأين مكـان البعـد إلاّ مـكـانيـا

وقوله تعالى: ﴿فقد صغت قلوبكما﴾.

ومنه تأنيث المذكر تطلعاً إلى معنى تدل عليه اللفظة، أو تذكير المؤنث لذلك، ويظهر هذا فيما يسند إليه من أفعال أو يعود من ضمائر أو يعقب من صفات أو يتألف معه من ألفاظ. قال الشاعر:

يـا أيهـا الـراكب المـزجي مـطيتـه سـائل بني أسـد مـا هـذه الصـوت

قصد بالصوت الاستغاثة فأتى باسم الإشارة الذي للمؤنث وقال الآخر:

فـلا مـزنـة ودقـت ودقـهـا ولا أرض أبـقـل إبـقـالـهـا

فذهب بالأرض إلى الموضع والمكان فأعاد إليه ضمير المذكر.

11 ـ الدلالة السياقية والمعاملة النحوية:

للسياق أثر واضح في تحديد الدلالة الوظيفية للتركيب وفي تحديد الوظائف النحوية، وله أثر في طرق تأثر النوع النحوي بغيره من مكوّنات التركيب (المعاملة النحوية).

يعين السياق في تحديد التوزيع الموقعي للعبارة أو الجملة فالعبارة المؤلفة من (التابع والمتبوع) أو (المضاف والمضاف إليه) أو (العدد والمعدود) أو (الموصول وصلته) أو (الجار والمجرور) أو (عبارة فعلية) قد تشغل موقع المسند إليه أو المسند نحو: (البيت الكبير لمحمد) و(مراكز اللغة ثلاثة عشر) و(الذي فاز بالجائزة قائدة المسيرة) و(كان محمد في الدار)، وقد تشغل موقع الضميمة لأحد ركني الإسناد نحو قولك (رسول الأمة الإسلامية محمد بن عبد الله) وتشغل موقع

(60) تناوب الصيغ في التعبير العربي ص 330 ـ 335.

المكمل الفعلي نحو: (ذهب محمد إلى السوق) و(اشتريت خمسة عشر كتاباً).

والجملة قد تشغل موقع المسند نحو: (الحديقة أزهارها متفتحة)، وقد تشغل موقع طرف العبارة فتكون تابعاً نعتاً نحو (زارنا رجل عمله كثير) أو مضافاً إليه نحو: ﴿هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم﴾ أو صلة: (عاد الذي قاد الجيش الظافر)[61].

كما يعين السياق في تحديد الوظائف النحوية فالأداة الوظيفية (كم) قد تكون خبرية أو استفهامية حسبما يحدده السياق والموقف الخطابي، تقول: (كم عبداً ملكت؟) بنصب المميز إن كانت استفهامية، و(كم عبدٍ ملكت) بجر المميز إن كانت خبرية. ويروى قول جرير الآتي بالنصب والجر على (عمة) و(خالة) بل وبالرفع على الابتداء[62].

كم عمة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت عليّ عشاري

ولفظ (راضياً) من قول أمية بن أبي الصلت:

رضيت بك اللهم ربّاً فلن أرى أدين إلهاً غيرك الله راضيا

يحتمل أن يكون حالاً أو مفعولاً مطلقاً حسب السياق المقدّر للبيت[62].

إن مراعاة الدلالة السياقية أدّت بالنحاة إلى القول بازدواجية الوظائف لبعض الأنواع النحوية، فذكروا فاعلاً سدّ مسدّ الخبر في إعراب (زيد) من قولك: (أقائم زيد؟) و(ما ذاهب زيد) فهو فاعل وخبر في الوقت نفسه. وذكروا حالاً سدّ مسدّ الخبر في نحو (ناجحاً) من قولك: (ذكري الطالب ناجحاً) فهو حال وخبر في وقت واحد.

قد يبدو في القول بالازدواجية شيء من التعنت، فاسم التفضيل ـ مثلاً ـ إذا قصد به المفاضلة وأضيف إلى معرفة نحو: ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾

---

(61) الخواص التركيبية في اللغة العربية ص 3، 5، 45.

(62) أوضح المسالك 4/123 ـ 126، 241.

أعربوه مضافاً إلى هذه المعرفة، ثم حملوه ضميراً مطابقاً لمفضل على المضاف إليه وجعلوه فاعلاً.

12 ـ المعاملة النحوية والسلوك النحوي:

(أ) التجانس الدلالي والمعاملة النحوية: للتجانس الدلالي بين الأنواع النحوية أثر في معاملتها النحوية من ذلك أن الحرف مبني، ولكن الاسم إذا أشبه الحرف شبهاً معنوياً بني على علامة إعرابية في آخره، قال ابن مالك[63]:

والاسم منه معرب ومبني ... لشبه من الحروف مضني
كالشبه الوضعي في اسمي جئتنا ... والمعنوي في متى وفي هنا

و(من) و(كم) الاستفهاميتان مبنيتان لتضمينهما معنى الهمزة[64]، والبناء ـ كما عرف ـ لا يتجلى إلا عند تأليف اللفظ مع غيره في تركيب.

وجزاء الشرط إذا لم يكن مما يصلح أن يقع شرطاً لتخلف المناسبة اللفظية احتيج لرابط بينهما، فكان أولى الروابط به الفاء لخفة لفظه ولمناسبة معناه للجزاء، فمعناه التعقيب بلا فصل، والجزاء متعقب للشرط كذلك[65].

والحال لما كانت خبراً في المعنى وصاحبها مخبراً عنه أشبه المبتدأ، فلم يجز مجيء صاحب الحال من النكرة غالباً إلا بمسوّغ من مسوّغات الابتداء بالنكرة[66]، كتقديم الحال على صاحبها نحو: (أقبل مسرعاً رجل) كما تقول: (في الدار رجل).

(ب) التجانس الدلالي والسلوك النحوي: للتجانس الدلالي أثر في السلوك النحوي للنوع النحوي أي في تأثيره في إحداث موقع نحوي معيّن، وبعبارة أخرى

---

(63) ألفية ابن مالك، ص 10.

(64) ابن يعيش، شرح المفصل ـ مكتبة المتنبي ـ القاهرة، 41/2.

(65) رضي الدين الأستراباذي ـ شرح كتاب الكافية في النحو دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ 1985 م، 362/2.

(66) السيوطي، همع الهوامع ـ دار المعرفة ـ بيروت، 240/1.

في إعماله في أنواع نحوية تألفت معه في التركيب.

فالأداة (ما) تعمل عمل (ليس) لشبهها بليس في المعنى أي في النفي مطلقاً ونفي الحال خاصة، فدخلت مثله على الجملة الاسمية وقرنت بخبرها الباء[67].

و(كم) إن كانت استفهامية نصب مميزها، وإن كانت خبرية جرّ مميزها، لأنها بمعنى (ربّ) في كونها للمباهاة والافتخار، فعملت عمل (ربّ) في مدخولها[67].

التعريفات النحوية:

إن مظهر التعامل النحوي الدلالي في التراكيب العربية تعضده العناصر الدلالية التي يذكرها النحاة في تعريفاتهم لكثير من الأبواب والأنواع النحوية.

فالاسم لفظ دال على ذات أو حدث دون زمن، والفعل لفظ دال على حدث وزمن. وجمع التكسير هو الاسم الدال على أكثر من اثنين بصورة تغيير لصيغة واحدة لفظاً أو تقديراً[68]. «والعدد هو ما ساوى نصف مجموع حاشيتيه القريبتين أو البعيدتين على السواء»[68]. «والنعت تابع متم ما سبق بوسمه أو وسم ما به اعتلق»[69].

فالنحاة، إذاً، لا يراعون في تحديد خصائص الأنواع والأبواب النحوية العناصر اللفظية فقط بل يراعون كذلك العناصر الدلالية مما يؤكد شدّة التعامل بين المستويين النحوي والدلالي.

خاتمـــة:

1 ـ درس هذا البحث ظاهرة التعامل النحوي الدلالي في التراكيب العربية

---

(67) الأشباه والنظائر في النحو 212/1، 181/1 ـ 182.

(68) الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ـ دار إحياء الكتب العربية ـ عيسى الحلبي ـ مصر، 119/4، 61/4.

(69) ألفية ابن مالك، ص 44.

فأبرزها وذكر اهتمامَ العلماء بها ووضح أهميتها المتمثلة في أهمية التوافق النحوي الدلالي في التركيب العربي والعلاقة بين الدلالات الوظيفية والمعجمية والعرفية كما درسها من خلال تناوله لعدة مظاهر وموضوعات نحوية تنضوي تحت هذه الظاهرة كمبدأي التلازم والتعامل والعلاقتين الأفقية والرأسية ودلالة العلامات الإعرابية والعبارات الاصطلاحية والدلالة السياقية وتناوب الأدوات والصيغ وأثر النمط التركيبي في تحديد دلالة التركيب والتضمين وغيرها.

2 ـ يرجو الكاتب أنه قد وفّق في ثنايا الفقرات السابقة في:

إثبات تجاذب الجانبين اللفظي والدلالي للتراكيب العربية، وإبراز أهمية ظاهرة التعامل النحوي الدلالي، ودراسة مظاهر نحوية متعددة وثم جمعها تحت ظاهرة التعامل النحوي الدلالي وقد كانت تدرس موضوعاتٍ لا تربط أحدها بالآخر صلة.

واتضح بل تأكد من ذلك كلّه أن الجانب اللفظي لا يستقل وحده بتحقيق «التواصل» الهدف من عملية الكلام، وأن التركيب النحوي العربي لفظ له دلالة، وشكل له مضمون ووعاء له محتوى، فينبغي اعتبار الدلالة والمغزى عند بناء التراكيب اللفظية.